فلما جاءهم نهضت الوليد والصبيان يبكون في وجوههم فرق لهم ثم قالوا أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه يعني أنه الذبح فقال لم تزل قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فلم يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانطلق إلى المسجد وربط نفسه بسارية وأقام على ذلك سبعة أيام لا يذوق ذواقا حتى خر مغشيا عليه فتاب الله عليه ونزل فيه أو في يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية وآية توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم الآية ولم يطأ بلد بني قريظة بعد ها وكان له بها أموال وأشجان وقد كان بنو قريظة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبل منهم ما قبل من إخوانهم بني النضير فأبى عليهم حتى تبين لهم أنه غير قابل منهم واشتدت عليهم أبواب الحيل وانقطع رجاؤهم من كل أمل نزلوا على حكمه فجاء الأوس شافعين فيهم كما شفعت الخزرج في حلفائهم بني قينقاع وكان الأوس والخزرج متغايرين لا تصنع إحداهما شيئا إلا صنعت الأخرى مثلها من ذلك أنه لما قتلت الأوس كعب ابن الأشرف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت الخزرج قتل أبي رافع فقتلوه فلما شفعت الأوس في بني قريظة قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك إلى سعد بن معاذ وقد كان سعد جعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خيمة في جانب المسجد ليعوده من قريب فأتاه قومه فاحتملوه على حمار وأقبلوا به وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن في مواليك فقال لهم قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فحين أيس قومه من بني قريظة ونعاهم إلى أهليهم قبل أن يحكم ولما أقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمن عنده قوموا إلى سيدكم فقيل أراد بها الأنصار خاصة وقيل عم الكل فحكم سعد بقتل الرجال وقسمة الأموال وسبي الذراري والنساء فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد

حكمت

69

حكمت فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك فحبسهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت واحد وخد لهم أخاديد في موضع سوق المدينة وخرج بهم أرسالا تضرب أعناقهم ثم يلقون في الأخاديد وترك منهم من لم ينبت فمن ترك عطية القرظي جد محمد ابن كعب المفسر الذي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقه يخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن درسا لم يدرسه أحد قبله ولا يدرسه أحد بعده وحين كانوا يخرج بهم للقتل قالوا لكعب ابن أسد أين يذهب بنا فقال أفي كل المواطن لا تعقلون أما ترون الداعي لا ينزع وأن من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل ولما خرجوا بحيي ابن أخطب نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل وفي ذلك قال جبل ابن جوال الثعلبي

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وكان عدد من قتل منهم ستمائة أو سبعمائة وقيل بين الثمانمائة والتسع وكان مدة حصارهم خمسا وعشرين أو إحدى وعشرين ليلة ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أموالهم للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهما وأخرج منها الخمس وكان نساؤهم وذراريهم سبعمائة وخمسين وقيل تسعمائة وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببعضهم إلى نجد ليشترى له بها خيل وسلاح ولما انفصل شأن بني قريظة استجاب الله دعوة سعد فانفجر جرحه فلم يرعهم وهو في المسجد إلا والدم يسيل إليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم فإذا سعد يغذو جرحه دما قالت عائشة فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وروي أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له من هذا الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له عرش الرحمن فخرج يجر ثوبه مسرعا فإذا سعد قد قبض وفي هذا المعنى أنشدوا

Copyright © King Saud University